الباب الرابع عشر

فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

الصلاة على الرسول فى الكتاب والسنة :

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم : (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) . وقد جاء فى الحديث الشريف « من صلى علىّ واحدة صلى الله عليه عشراً » كما جاء « أَوْلَى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة » وجاء فى مسلم مرفوعًا « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صَلُّوا علىّ فإنه من صلى علىّ صلاة صَلَّى الله عليه عشراً ، ثم سَلُوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تَنْبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلَّت عليه الشفاعة » .

معنى الصلاة :

وقد سئل الإمام الغزالى رضى الله عنه : ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه عشراً ؟ وما معنى صلاة الله على من صلّى عليه ؟ وما معنى صلاتنا عليه ، وما معنى استدعائه من أمته الصلاة عليه ، أيرْتاح لذلك ؟ أم هو شفقة على الأمة ؟

فأجاب رضى الله عنه :

أما صلاة الله على نبيه وعلى المصلّين عليه فمعناه إفاضة أنواع الكرامات ولطائف النعم ، وأما صلاتنا عليه وصلاة الملائكة فهو سؤال وابتهال فى طلب تلك الكرامات ورغبة فى إفاضتها عليه، فتختص الصلاة بالأنبياء، وطلب التَرضّى [1] بالصحابة والأولياء والعلماء ، وطلب المغفرة والرحمة بالعوام .

وأما استدعاؤه الصلاة من أمته فلثلاثة أمور :

---

(١) أى بقولك عن أحد الصحابة أو الأولياء : رضى الله عنه .

الأمر الأول : أن الأدعية مؤثرة فى استدرار فضل الله ونعمته ورحمته لاسيما فى الجمع الكثير ، كالجمعة وعرفات والجماعات . فإن الهمم إذا اجتمعت وانصرفت إلى طلب مافى الإمكان وجوده على قرب ، كالمطر ورفع الوباء وغيره ، فاض مافى الإمكان من الفيض الحق بوسائط إلى روحانيات المترشحين لتدبير العالم الأسفل المقتضى لتقهرهم ، وإنما أثرت الهمم لما بين الأرواح البشرية والروحانية العالية فى المناسبة الذاتية فإن هذه الأرواح مجانسة لتلك الجواهر وإنما يقطع مجانستها التدنس بكدورات الشهوات ، ولذلك تكون همة القلوب الزكيّة الطاهرة أسرع تأثيراً ، وتكون فى حالة التضرع والابتهال أنجح ، لأن حرقة التضرع تذيب كدورات الشهوات عن القلب فى الحال ، وتصفيه وتكشفه من الظلمة . ولذلك لايخطئ دعاء الجمع . ولايخلو الجمع من قلوب طاهرة تزيد التعاون تأثيراً . . . فإذا كانت الأدعية مؤثرة فى استجلاب موائد الفضل ، وكان ما وُعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحوض ومرتبة الشفاعة وغير ذلك من المقامات المحمودة غير محدود على وجه لا تتصور الزيادة فيها . فاستمداده من الأدعية استزادة لتلك الكرامات .

الأمر الثانى : ارتياحه به كما قال صلى الله عليه وسلم : « إنّى أباهى بكم الأمم » ، وكما لايبعد أن يطّلع النائم منا على الغيب من أحوال الموتى مع كوننا فى هذا العالم المظلم ، فلا يبعد أن تحصل للأرواح معرفة بمجارى أحوالنا مع أنهم فى عالم القُدْس والصفاء .

الأمر الثالث : الشفقة على الأمة . فحرضهم على ماهو حسنة فى حقهم وقربة لهم ، وإنما تضاعف الصلاة لأن الصلاة ليست حسنة واحدة بل حسنات ، إذ فيها تجديد الإيمان بالله أولا . ثم بالرسول ثانيًا ، ثم بتعظيمه ثالثًا ، ثم بالعناية بطلب الكرامة له رابعًا . ثم بتجديد الإيمان باليوم الآخر وأنواع الكرامات خامسًا . ثم بذكر آله سادسًا . وعند ذكر الصالحين تتنزل الرحمات — ثم بتعظيم آله ونسبتهم إليه سابعًا . ثم بإظهار المودة لهم ثامنًا — ولم يسأل صلى الله عليه وسلم من أمته إلاّ المودة فى القربى . ثم الابتهال والتضرّع فى الدعاء تاسعًا . والدعاء مُخ العبادة ، ثم بالاعتراف عاشراً بأن الأمر كله لله ، وأن النبىّ وإن جل قدره فهو محتاج إلى رحمة الله عزوجل ، فهذه عشر حسنات سوى ما ورد الشرع به من أن الحسنة الواحدة بعشرة أمثالها وأن السيئة بمثلها فقط . وسر ذلك أن الجوهر

الإنسانى حنّان إلى ذلك العالم العلوى ، وهبوطه إلى العالم الجسمانى غريب فى طبعه ، والسيئة تُبَطِّئُهُ عن الترقى إلى ذلك العالم على خلاف طبعه ، والحسنة ترقيه إلى موافقة الطبع ، والقوة التى تحرك الحجر ذراعا إلى فوق هى نفسها إن استعملت فى تحريكه إلى أسفل تحركه عشرة أذرع أو زيادة، فلهذا كانت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف .

فضائل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم :

ويقول العلامة الزرقانى رضى الله عنه فى شرح المواهب :

وأما فضيلة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقد ورد التصريح بها فى أحاديث قوية منها تكفير الخطايا، وتزكية الأعمال ، ورفع الدرجات ، ومغفرة الذنوب ، وصلاة الملائكة واستغفارهم لقائلها ، وكتابة قيراط مثل أحُد من الأجر ، والكيل بالمكيال الأوفى ، وكفاية أمر الدنيا والآخرة ، ومَحْق الخطايا ، وفضلها على عتق الرقاب ، والنجاة بها من الأهوال ، وشهادة الرسول بها ، ووجوب الشفاعة ، ورضا الله ورحمته، والأمان من سَخَطه ، والدخول تحت ظل العرش ، ورجحان الميزان ، وورود الحوض ، والأمان من العطش ، والعتق من النار ، والجواز على الصراط ، ورؤية المقعد المقرب من الجنة قبل الموت ، وكثرة الأزواج فى الجنة ، ورجحانها على أكثر من عشرين غزوة ، وقيامها مقام الصدقة للعسر ، وأنها زكاة وطهارة ، وينمو المال ببركتها ، وتُقضى بها مائة من الحوائج بل وأكثر ، وأنها عبادة وأحب الأعمال إلى الله تعالى ، وتزين المجالس ، وتنفى الفقر وضيق العيش ، ويلتمس بها نطاق الخير ، وأن فاعلها أولى الناس به صلى الله عليه وسلم ، وينتفع هو وولده وولد ولده بها، وتقرب إلى الله عز وجل وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنها نور ، وتنصر على الأعداء ، وتطهر القلب من النفاق والصدأ ، وتوجب محبة الناس ، ورؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وتمنع من اغتياب صاحبها ، وهى من أبرك الأعمال وأفضلها وأكثرها نفعاً فى الدين والدنيا .

حدّاد موهوب :

ويحكى سيدى ابن عربى فى الباب ٥٤٠ من الفتوحات أن حدّاداً بأشبيلية

كان يعرف « باللهم صل على محمد » وما كان يُعرف بغير ذلك الاسم رأيته ودعا لى وانتفعتُ به، لم يزل مشتهراً بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لا يتفرغ لكلام أحد إلاّ قدر الحاجة إذا جاءه أحد يطلب منه أن يعمل له شيئًا من الحديد فيشارطه على ذلك ولا يزيد ، وما وقف عليه أحد من رجل ولا صبى ولا امرأة إلاّ ولابد أن يصلى على محمد ذلك الواقف إلى أن ينصرف من عنده . اللهم وفقنا لكثرة الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم كما تحب وترضى .

obeikandl.com